﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦﴾ [البقرة: 6]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

إظهار التّباين بين المتّقين والكافرين والمنافقين

لـمَّا ذَكَر اللهُ ﷻ صفاتِ المتَّقين وأعمالَهم؛ أَعْقَبَه بذكر صفات الكُفَّارِ؛ "لِيَظْهَر الفارقُ الواضحُ بين الصِّنْفين، على طريقةِ القُرآن الكريم في المُقَارنة بين الأبرارِ والفُجَّار، والتَّمْييز بينَ أهل السَّعادة وأهل الشَّقَاوة"[1].

ولـمَّا كان الكُفَّار قِسْمَين: مُصَارِحين ومنافقينَ، وكان المنافقون صِنْفَين؛ أَحَدهما: الْجُهَّال من مُشْرِكي العرب، والآخَر: عُلَمَاء مِن كُفَّار بني إسرائيل؛ نَاسَبَ البدءُ بالمُصارِحين؛ ليُفْرَغَ مِن قسمٍ بأكملِه على عجَلٍ؛ ليُتَفَرَّغَ لِلْمُنَافقين؛ لكَوْنِ أمرِهم أخطرَ وأشدَّ[2].

وسرُّ الابتداء بالمؤمنين، والتَّثْنية بالكافرين، والختم بالمنافقين؛ فيه أوجهٌ:

أحدُها: أنَّهُ لـمَّا كان البدءُ في سورة الفاتحةِ بالمؤمنينَ، ثمَّ ذُكرَ الكافرونَ، وكان الكفرُ والنِّفاقُ مُنتشرَيْنِ في المغضوب عَلَيْهِمْ والضَّالِّين؛ ناسَبَ الابتداءُ بهذه الأصنَاف الثَّلاثة في سُورة البقرةِ على التَّرتيبِ الوارِدِ في سورة الفاتحة.

ثانيهَا: لَحْظُ الأصلِ؛ فإنَّ الأصلَ في الإنسان أن يكون مُؤْمِنًا على الفِطْرَة، والكفر طَارِئٌ على الإيمان، والنِّفاقُ طارئ على الكُفْرِ، فكانَ التَّرتيبُ على هذا المنوال هُوَ الأصلَ.

ثالثها: تُمَثِّل الآيةُ انتقالًا نوعيًّا مِنَ الحديثِ عَنِ المؤمنين، إلى المقابِل العقَدِيِّ؛ وهو الحديث عَنِ الكافرين والمنافقين، وابتدأَتْ بالكافرينَ باعتبارهم العُنْصُرَ الظَّاهرَ في المقابلة، وثنَّت بالمنافقين باعتبارهم العنصرَ الباطنِيَّ في المقابلة؛ فهو مَقْطَعٌ فِيهِ ثلاثُ ركَائِزَ: الإيمان، والكفر، والنِّفاق، تُمَثِّلُ في مُجْمَلِها التَّفْصيلَ البَيِّنَ لِمَا أَجْمَلَتْهُ سورةُ الفاتحةِ.

(1) محمد علي جميل، صفوة التَّفاسير: 1/27.
(2) البقاعي، نظم الدُّرر: 1/91.

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿كَفَرُواْ﴾: الكافُ والفاءُ والرَّاءُ تدل اشتقاقاتُها على السَّتْرِ والتَّغطيةِ والجَحْدِ[1]؛ ومِنهُ سُمِّي الكَافرُ كافرًا؛ لِأَنَّهُ يستُرُ نِعمةَ اللّه عَلَيهِ وَيَجْحَدُها بِكُفْرِهِ، ويُقال: كفَرَ البذرَ إذا زرَعَهُ؛ لأنَّه بزراعتِهِ يُغطِّيه[2].

وكلُّ الألفاظ المشتقَّةِ مِنَ الكُفْرِ راجعةٌ إلى معنى السَّتْرِ، ومِنْهُ: اللَّيل، والبَحْر، والسَّحاب المُظْلِم، والزَّارِعُ، والزَّرْعُ؛ فَإِنَّ الجميعَ يُسمَّى: كافرًا[3].

وثمَّةَ قيدٌ مُهِمٌّ؛ وهو أَنَّ أصلَ كُفْرِ الشَّيْءِ: تغطيتُهُ تغطيةً كثيفةً شاملةً تُحيط به مِن كل جانب، فلا يظهر معها شيءٌ مِنَ المُغَطّى؛ كما يُغطِّي الزَّارِعُ الحبَّ الذي يَزْرَعُهُ[4].

ويُطْلَقُ الكُفرُ في الشَّرع على ما يُقابلُ: الإيمانَ، وما يُقابلُ: الشُّكْرَ، فَمِنَ الأوَّل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، ومن الثَّاني: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: 152][5].

2) ﴿سَوَآءٌ﴾: السينُ والواوُ والياءُ تدل تصاريفُها على استقامة واعتدالٍ بين شيئين[6].

وَمِنْهُ قولُهم: مكانٌ سَوَاءٌ، أي: وسطٌ[7]، ومِنهُ قولُه تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾؛ أي: يستوي الأمرانِ المذكورانِ.

3) ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾: الإِنْذَار: الإعلام معَ التَّخويف والتَّهْديد والتَّحذيرِ[8]، يُقال: تَنَاذَرَ القومُ؛ إِذَا خَوّفَ بعضُهم بعضًا[9]، فَبَيْنَ الإنذارِ وَالإعلامِ عمومٌ وخصوصٌ مطلَقٌ؛ إِذْ كُلُّ إنذارٍ إعلامٌ، وليس كلُّ إعلامٍ إنذارًا[10].

وذكر القُرْطبيُّ وغيرُهُ قَيْدًا زائدًا في الإنذار؛ وهو كونُهُ لا يكون إلَّا في تخويفٍ يتَّسعُ زمنُهُ لِلاحْتِرازِ مِنَ المُخَوَّفِ، فإن لم يتَّسعْ زمَنُهُ كان إِشْعارًا[11].

---

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كفر).
(2) القاضي عِياض، مشارق الأنوار على صحاح الآثار: 1/345، وابن مالك، إكمال الإعلام بتثليث الكلام: 2/546.
(3) الكَفَوِي، الكلِّيّات، ص: 763.
(4) أبو موسى المَدِيني، المجموع المغيث في غريبَيِ القرآن والحديث: (كفر)، وجبل، المعجم الاشتقاقيُّ المؤصَّل: (كفر).
(5) ابن الجوزي، نزهة الأعين النَّواظر، ص: 517-516.
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سوي).
(7) الرّاغب، المفردات: (سوأ).
(8) الجوهريّ، تاج اللُّغة وصحاح العربيّة: (نذر)، والرّاغب، المفردات: (نذر)، والشِّنقيطيّ، العذب النّمير: 2/273.
(9) ابن الجوزيّ، زاد المسير: 1/29.
(10) الواحديّ، التَّفسير البسيط: 2/95، والسَّمين، عمدة الحُفّاظ: (نذر).
(11) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 1/184. الرّازيّ، التّفسير الكبير: 1/76.

والغرَضُ مِنَ الإنذارِ ليس مجرَّدَ الإعلامِ والتَّخويفِ، وإنَّما لِلْحذَرِ مِنَ المُخوَّفِ[1].

أمَّا الإنذارُ في الاستعمالِ القرآنيِّ؛ فهو بمعنى: التَّخويفِ مِنْ عذَابِ اللهِ تعالَى.

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

إنَّ الذين جحدوا ما أُنْزِلَ إليك من ربك استكبارًا وإعراضًا وعِنادًا؛ لَنْ يصدُرَ منهم إيمانٌ، ولن يُؤتيَ تخويفُك لهم من عذاب اللهِ أُكُلَه فيهم، فتخويفُكَ وعدَمُه عندهم سواءٌ[2].

❁ الإِيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

تَوْجِيهُ بَلَاغَةِ فَصْلِ الْجُمْلَةِ عَنْ سَابِقَتِهَا:

تَعْلِيلُ الفَصْلِ بَيْنَ الجُمَلِ قائمٌ على تَعْيِينِ غَرَضِ السِّياقِ

اختُلف في توجيهِ سببِ الفصل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ على قولَيْنِ، مَبْنَاهُمَا على تحديد الغرض مِنَ الآيات السَّابقة:

الأوَّل: مَنْ جعل غرضَ الآياتِ السَّابقةِ القرآنَ؛ وجَّه الفصلَ على أنَّه من كمالِ الانْقِطَاعِ حَمْلًا على الاختلافِ بين الحديث عَنِ القرآن والكفَّار، وهو مذهب السَّكَّاكِيِّ، والجامعُ وإن كان ثابتًا هَهنا؛ لكون الصِّنْفِ الثَّاني يُضادّ الأوَّل - وهو المسمَّى الجامعَ الوهميَّ-[3]؛ إلَّا أنَّهُ "جامعٌ غيرُ مُلْتَفَتٍ إِلَيْهِ؛ لِبُعْدِ المقام عَنْهُ"[4].

الثَّاني: مَن جعل غرضَ الآيات السَّابقة الحديثَ عن صِفاتِ المؤمنين؛ وجَّه الفصلَ على أنَّه شِبْهُ كمال الاتصال (الاسْتِئْنَافِ البيانيّ)[5].

---

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 4/199.

(2) ابن عطيّة، المحرَّر الوجيز: 1/87، ولجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص: 4، ونخبة من أساتذة التّفسير، التّفسير الميسّر، ص: 2.

(3) بهاءُ الدِّين السُّبكّي، عروس الأفراح: 3/136-137.

(4) الخفاجيّ، عناية القاضي: 1/158.

وقَوْلُ العلَّامة ابن عاشور في التّحرير والتّنوير: 1/247: «وإنَّما قُطِعت هاته الجملةُ عَنِ التي قبلها؛ لأنَّ بينَهما كمالَ الانقطاعِ؛ إذِ الجملُ السَّابقة لذِكْرِ الهُدى والمهتدين، وهذه لذِكْرِ الضَّالين، فبَيْنَهُما الانقطاعُ لأجل التَّضادِّ»، يُشكِلُ عَلَيْهِ أنَّ التَّضادَّ نوعٌ من أنواع التناسُبِ يَنْدَرِجُ تحت الجامعِ الوهْمِيِّ، وردت آياتٌ كثيرة في عطف الضِّدين، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤﴾ [الانفطار: 13-14].

وجعلَ الزمخشريُّ في الكشَّاف: 1/47، الغرضَ هُوَ الفرقَ في الفَصْلِ ههنا، والوصلِ في آية الانفطار؛ إذْ هو مُتباينٌ فِيهما، فآية البقرة سيقَت لذِكْرِ القرآن وعلُوِّ شأنِهِ، والأخرى سيقَتْ لبيانِ تمرُّدِ الكافرينَ وتوغُّلِهِم في الضَّلال.

ثُمَّ أومأ الزمخشريُّ إلى أَنَّ آيةَ البقرةِ مستأنَفَةٌ استئنافًا بيانيًّا؛ فإنَّه قال: «الكلامُ المبتدأ عَقِيب المُتَّقِين سَبِيلُهُ الاستئنافُ، وأنَّه مبنيٌّ على تقدير سؤال، فَذَلِكَ إدراجٌ له في حكم المُتَّقين، وتابعٌ له في المعنى، وإن كان مبتدأً في اللَّفظ؛ فهو في الحقيقة كالجَارِي عَلَيْهِ. اهـ، فكأنَّه لَمَّا ذُكر حالُ المُتَّقِينَ؛ قِيلَ: وما حالُ غَيْرِهِمْ؟ فجاء الجواب: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾.

ونَظَرَ الشِّهَابُ في كونِ الآيةِ مِنَ الاستئنافِ البيانيّ، فيُنظر كلامُهُ في عناية القاضي: 1/242.

(5) الزمخشري، الكشاف: 1/47.

فالمعتدُّ به هَهُنا قائمٌ على تَعْيِينِ المقصود في الآيات السَّابقةِ؛ فإنَّ توجيهَ الفَصْلِ قائمٌ على تعيين الغرض مِنَ الآياتِ السَّابقة، والوجهان قويَّان بلاغةً، متَّجهان نَظْمًا، إلَّا أنَّ الوَارِدَ عَنْ مُجَاهِدٍ رحمه اللّٰه وهُوَ قولُه: "مِنْ أَوَّلِ الْبَقَرَةِ أَرْبَعُ آيَاتٍ فِي نَعْتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَآيَتَانِ فِي نَعْتِ الْكَافِرِينَ، وَثَلَاثَ عَشْرَةَ آيَةً فِي نَعْتِ الْمُنَافِقِينَ"[1]، يُقوِّي مذهبَ الاسْتِئْنَافِ البيَانيِّ.

توجيهُ تَأْكِيدِ الْجُمْلَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾:

إظهارُ القيمةِ الهدائيّةِ في الحِرْصِ على إنذارِ الآخَرِ

أُكِّدَتِ الجُمْلَةُ بـ (إنَّ) في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ لأحدِ ثلاثَةِ أَوْجهٍ[2]:

أَوَّلُها: الاهْتِمَامُ بِالْخَبَرِ وَغَرَابَتِهِ؛ لِأَن الْخطابَ للنبيِّ ﷺ وَلِلْأُمَّةِ؛ فلا يُرَادُ حينئذٍ رَدُّ الْإِنْكَارِ أَوِ الشَّكِّ، إذِ التَّوكيدُ لمُجرَّدِ الاهتمام.

ثانيهَا: تنزيلُ النَّبِيِّ ﷺ مَنْزِلةَ مَن شكَّ في نفعِ الإنذارِ؛ لِأَنَّ حِرْصَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى هِدَايَةِ الْكَافِرِينَ يَجْعَلُهُ لَا يَقْطَعُ الرَّجَاءَ فِي نَفْعِ الْإِنْذَارِ لَهُمْ؛ فجاءَ التَّوكيدُ ههنا لِرَدِّ هذا الشَّكِّ المُفْتَرَضِ.

ثالثها: لَمَّا وُصِفَ القرآنُ الكريم ببلُوغِه الغايةَ في الهدايَةِ؛ أَطْمَعَ هذا الوصفُ السَّامعين في تأثير هداية القرآنِ في الكافرينَ المعاندين، وجَعَلَهُمُ الوصفُ كالشَّاكِّينَ في استواء الإنذارِ وعدمِهِ، فخَرَجَ الخطابُ على خلاف مقتضى الظَّاهر، ونُزِّلوا منزلة الشَّاكِّين وإن لم يكونُوا كذلكَ.

خَبَرُ اللهِ تَعَالَى بِعَدَمِ إِيمَانِ قَوْمٍ لَا يَتَخَلَّفُ ويلزَمُ منْه التَّحذير

مَعْنَى اللَّامِ فِي الِاسْمِ الْمَوْصُولِ:

تعريفُ الاسمِ الموصولِ في قَوْلِهِ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يحتَمِل وَجْهَين:

(1) مجاهد: تفسير مجاهد، ص: 195.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/247-248.

الأوَّل: أن يكون لِلْعَهدِ، والمرادُ به ناسٌ مَخْصُوصونَ، كأبي لهَبٍ وأبي جَهْلٍ ونحوِهما.

والآخر: أَنْ يكون لِلْجِنْسِ الدَّالِّ على العُمومِ، وهذا له مسلَكَانِ:

أحدهما: أن يكون المرادُ أبلغَ أنواعِ الكفرِ، والقرينَةُ قولُه تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾، فهو مِنَ العَامِّ المخصوصِ بالْحِسِّ؛ لوجود مَن آمَنَ مِن الكُفَّارِ.

والآخر: أَن يكون عامًّا مرادًا به الخصوصُ.

وهذان المَسْلَكانِ "نَاظِرَان إلى أَنَّ اللهَ أخبَرَ عَن هَؤُلاءِ بأَنَّهم لا يُؤمنون، فتَعَيَّن أَنْ يكونوا مِمَّن تَبَيَّن بعدُ أنَّه ماتَ على الكُفْرِ"[1].

فائِدَةُ حَذْفِ الْمُتَعَلَّقِ العُمومُ وبيانُ شَنَاعةِ كُفرِ المَذْكُورِين:

حُذف مُتَعَلَّقُ الكُفْرِ في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فلم يُذْكَرْ، نَحْوُ: (كَفَرُوا باللهِ)، أو (بالْيَوم الآخرِ)؛ لإفادة العموم؛ إذْ إنَّ حذف المتعلَّق مُؤذِنٌ بالعموم، فَيَعُمُّ ما ذُكِرَ وغيرهُ ممَّا يجبُ أن يُؤْمِنُوا بِهِ، وما لا يجوزُ الكفرُ بهِ؛ وذلك أقوَى في تشنيعِ كُفْرِهم.

بلاغة الاستفهام (همزة التسوية):

بُـلُـوغُ الـكُـفَّـارِ الغَايةَ الْقُصْوَى فِي العِنَادِ

الاستفهامُ في قولِه ﷻ: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ استفهامٌ في اللَّفْظِ، وهو في المعنى: خَبَرٌ[2]، والمرادُ: التَّسويةُ؛ وذلك لأنَّ همزةَ التَّسْوِيةِ موصولٌ حَرْفِيٌّ[3]، تُسبَكُ مَعَ ما بعدَها بِمَصْدَرٍ، فتقدير ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾: إنذارُكَ وعدمُ إنذارِك سواء، فمُؤدَّاه الْخَبَرُ.

قال الزَّجَّاج: "فأمَّا دُخُولُ ألفِ الاستفهامِ ودخولُ (أَمْ) التي لِلاسْتِفهامِ، والكلامُ خَبرٌ؛ فإنَّمَا وَقَعَ ذلك لمعنى التَّسْوِيةِ، والتَّسْوِيَةُ آلَتُهَا: ألفُ الاستفهامِ"[4].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتّنوير: 1/248.

(2) الواحديّ، التَّفسير البسيط: 1/256، وابن عطية، المحرَّر الوجيز: 1/88.

(3) عبَّاس حسن، النّحو الوافي: 1/407، وفي عدِّها موصولاً حرفيًّا خلافٌ، وعلى قولِ مَن لا يراها موصولاً حرفيًّا؛ «فالجملة مِنَ الفعل والفاعل تكون في تأويل مصدرٍ مِن غير سَابِك؛ لإصلاح المعنى». ينظر: الهرريّ، حدائق الرَّوح والرّيحان: 1/150.

(4) الزَّجَّاج، معاني القرآن وإعرابُهُ: 1/77.

واستظهَرَ ابنُ عاشور[1] أَنَّ الهمزةَ لِلاستفهامِ باقيةٌ على دَلالَتِهَا مِن دُون التَّعرُّضِ لِلتَّسوية، وإنَّما التَّسويَةُ مستفادَةٌ مِن قولِه: ﴿سَوَآءٌ﴾، وأَنَّ في الكلامِ حذفًا، تقديرُه: ﴿سَوَآءٌ﴾ جوابُ ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾، كقَوْلِهم: عَلِمْتُ أزيدٌ قائمٌ، والمعنى: علمتُ جوابَ هذا السُّؤالِ.

المشركون المتحدَّثُ عنهم بلغوا الغاية في الكفر بحيث استوى إنذارهم وعدم إنذارهم

ونُكْتَةُ هذا التَّعبيرِ: أنَّ الإنذارَ وعدمَهُ يبدوان مُخْتَلِفَيْن؛ لخفاءِ استوائِهما؛ حتَّى لَيُسْأل: أأنذرتَهم أم لم تُنذرْهم؟ فيُبَيَّنُ أَنَّ الأمرينِ مستويانِ في تركِ الاكْتِراثِ بهما، وعدمِ الحاجةِ إلى جوابِ الاستفهام، فيكون قولُه تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ مُشيرًا إلى أَنَّ النَّاس لِتَعَجُّبِهم في دوامِ الكُفَّارِ على كُفْرِهم معَ ما جَاءَهم مِنَ الآياتِ، بِحَيْثُ يَسْأَلُ السَّائلون أأنذَرَهم النَّبِيُّ أم لَمْ يُنْذِرْهُم؟ مُتَيَقِّنِين أنَّه لو أنذرهم لَمَا تردَّدوا في الإيمانِ، فقيل: إنَّهُم سواءٌ عَلَيْهِمْ جوابُ تساؤلِ النَّاسِ عن أَحَدِ الأَمْرَين"[2]، وهذا إنَّما يكونُ مَعَ الذين بلغَ عنَادُهم الغايةَ.

نُكْتَةُ تَعْدِيَةِ الاِسْتِوَاءِ بِـ (عَلَى) لبيانِ تَمكُّنِ الاسْتواءِ:

براعَةُ الاسْتِعَارَةِ والتَّناسُبِ في تَعاضُدِ المعاني

عُدِّيَ ﴿سَوَآءٌ﴾ بـ (عَلَى) دون (عِنْدَ) في قوله سبحانه: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾؛ للدّلالة على تمكُّنِ الاستواءِ وقوَّتِه[3]؛ إذْ إنَّ (علَى) تدلُّ عَلَى الاسْتعلاءِ؛ ففيه استعارةٌ مَكنيّةٌ إذ شبَّه الاستواءَ بأمرٍ ثقيلٍ واقعٍ عليهم، لا يَملكُون معَه حِرَاكًا؛ لإظهارِ مدى ضَعفِهم في عدمِ قدرتِهم على رَفْعِ ما عليهم من الثِّقل، وهو مناسبٌ لما سيأتي من الخَتْمِ على القُلُوبِ، فالاستواءُ عليهم، والخَتْمُ على قلوبِهم.

(1) وهو متابعٌ في هذا ابنَ عرفة في تفسيره: 1/46.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/250.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/249.

نُكْتَةُ الِاكْتِفَاءِ بِالنِّذَارَةِ عَنِ البِشَارَةِ:

ذُكِرَتِ النِّذارةُ دُون البِشارة في قوله ﷻ: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾، وإن كان النَّبيُّ ﷺ بشيرًا ونذيرًا؛ لأنَّ المُتحدَّثَ عنهم لَيْسُوا أهلًا لِلْبِشَارة[1]، ولأَنَّ النِّذارةَ أشدُّ وَقْعًا وتأثيرًا في القلب، من جِهَةِ أنَّ دَفْعَ الضُّرِّ أَوْلَى مِن جَلْبِ النَّفْع، فإذا لم يَنْتَفِعُوا بالنِّذارة؛ كان عدمُ انتفاعِهم بِالْبِشَارة مِنْ بابِ أَوْلَى[2].

عـدم أهـليَّـةِ المُتحدَّثِ عنهم للبشارة، وقوة وقع النِّذارة على القلوب

سِرُّ التَّعبيرِ بالفعلِ بَدَلَ المَصْدَرِ:

آثرَ النَّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ بالمَصدرِ لا بالفِعْلِ في قوله تعالى: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾؛ فلم يقُل: إنذارُكَ وعدَمُه؛ لبيانِ حرص النَّبيِّ ﷺ على إنذار الكافرينَ بغرضِ هدَايتهم؛ لِما فِيهِ مِن إيهَامِ التَّجدُّد[3].

بيانُ رحمةِ النَّبيِّ ﷺ بالآخرين وحِرصِه على هِدَايَتِهم

نُكْتَةُ حَذْفِ الْمَفْعُولِ الثَّانِي؛ لتشمل النِّذارَةُ كلَّ مَا يَصِحُّ فيه الإِنْذَارُ:

يتعدَّى فعلُ الإنذارِ إلى مفعولين؛ كما في قوله تعالى: ﴿أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً﴾ [فصلت: 13]، وفي قوله تعالى: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ ذُكِرَ المفعولُ الأوَّلُ، وحُذِف المفعول الدالُّ على المُنْذَرِ مِنْهُ، وفي ذلك توجيهان، الأوَّل: تقديرُ المفعولِ الثَّاني؛ كالآتي: أأنذرتهم العذابَ أم لم تُنذِرهُم إيَّاهُ[4]، والثّاني: أَن لا يُقَدَّرَ مفعولٌ مخصوصٌ؛ ليَعُمَّ كُلَّ ما يُنْذَرُ[5]، وهو الأولى بالمقام.

توجيه فَصْلِ جملةِ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ عَمَّا قَبْلَهَا:

الفصلُ في قولِه تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ محمولٌ إمَّا على كمال الاتِّصال أو شِبْهِه، أمَّا كمالُ الاتِّصالِ فتوجيهُه أنَّ هذه الجملةَ

دَفْـعُ أوهـامِ الأفهامِ والقَطْعُ بالمقصودِ

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 1/36.
(2) الرّازيّ، التّفسير الكبير: 2/286، والبيضاويّ، أنوار التَّنزيل: 1/41.
(3) الطِّيبي، فتوح الغيب: 2/123، وأبو السّعود، إرشاد العقل السَّليم: 1/609.
(4) السّمين، الدُّر المصون: 1/108-109.
(5) الخفاجيّ، عناية القاضي: 1/272.

تفسيرٌ لِلاسْتِواءِ المُجْمَلِ المذكورِ قبلَهَا[1]، وأمَّا شِبْه كمال الاتِّصال فتوجيهُه أنَّه لَمَّا قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾، كأنَّه قيل: ما كُنْهُ هذا الاسْتِوَاءِ؟ أَهُمْ يُؤْمِنُونَ أو يَكْفُرُونَ؟ فجاءَ الجَوَابُ: ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ﴾.

وغرضُ الفَصْلِ على الوجهين: الاحترازُ مِنْ ظنِّ ظانٍّ أنَّهم يُؤْمِنُون؛ "لأنَّه قد يكونُ الاختيارُ باستواءِ الحالَتَيْن عِنْدَهم يقتضي مبادرَتهم إلى الإيمانِ وعدم توقّفهم على الإنذارِ؛ فاحترَزَ من ذلك بِبَيَانِ أنَّهم على العَكس"[2].

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الإِنْذَارُ وَالتَّخْوِيفُ:

الإنذارُ هو إعلامٌ مع تخويفٍ، ولا يكون إلَّا فيما يتَّسِعُ زَمَنُه لِلاحترازِ مِنَ المُخَوَّفِ، ولذا كان الغرضُ مِنَ الإنذار ليس مجرَّدَ الإعلامِ والتَّخويفِ، وإنَّما غرضُهُ وغايتُهُ: الحذَرُ مِنَ المُخوَّفِ لِتلَافِيهِ، ولازمُ ذلك: بيانُ موضعِ المَخافَةِ؛ إذْ لا يَتأتَّى الاحْتِرَازُ مِنَ المُخَوَّفِ دونَ بيانِ موضعِهِ.

ولذا كان الإنذارُ إحْسَانًا مِنَ المُنْذِرِ، "وَكُلَّما كَانَتِ المخافَةُ أَشدَّ؛ كَانَت النِّعْمَةُ بالإنذار أعظمَ، وَلِهَذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أعظمَ النَّاس مِنَّةً بإنذاره لَهُم عِقَابَ اللهِ تَعَالَى"[3].

أمَّا التَّخويفُ فأعَمُّ؛ إذْ قد يكون الغرضُ مِنْهُ نفسَ الغرضِ مِنَ الإنذار، كمَا قال تعالى: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا﴾ [الإسراء: 59][4]، وقد يكون لِمجرَّدِ إدخالِ الرُّعْبِ علَى المُخَوَّفِ؛ لقَصْدِ إضعافِ هِمَّتِهِ، ونحوِ ذلك.

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 1/41.
(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/46.
(3) أبو هلال العسكريّ، الفروق اللُّغويّة، ص: 78.
(4) السّعدي، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 461، وعبد العظيم المطعني، خصائص التّعبير القرآنيّ: 2/46.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأول، من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة [إشراف مجمع القرآن الكريم،
قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 1 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-52-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 1 : من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-52-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9609262 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»